كُفّوا عن أحرار الشام

الكاتب : مجاهد مأمون ديرانية

التاريخ : 14 يوليو 2015 م

المشاهدات : 4640

قبل ثلاثة أيام نشرت جريدة "واشنطون بوست" الأمريكية مقالة كتبها لبيب النحاس، مدير مكتب العلاقات الخارجية في حركة أحرار الشام الإسلامية، فقامت الدنيا ولم تقعد، وخاض في الأمر من يعلم بعلم ومن لا يعلم بغير علم، وذهبت التوقعات والتخرصات ذات اليمين وذات الشمال.

نُطمئن المحبّين والمشفقين، ونؤكد للطاعنين والمرجفين: إن حركة أحرار الشام لم تُبدّل ولم تغير، وإنها ما تزال ماضية على الطريق الصحيح إن شاء الله. ليس الطريق الذي يرضاه أعداء سوريا وخصومُها، ولا الطريق الذي يحبه الذين اتخذوا من آلام السوريين وتضحياتهم مِرقاةً يرتقون عليها إلى مشروعهم الخاص، بل الطريق الذي اختاره وارتضاه أحرار سوريا لأنفسهم ولبلدهم، الطريق إلى دولة مسلمة قوية مستقلة ومجتمع مسلم حر كريم.

* * *

في الخامس من أيلول الماضي نشر قيادي الحركة، أبو يزن الشامي رحمه الله، نشر رسالته التاريخية الشهيرة التي قال فيها: "نحن أحرص على الساحة الشامية لأنها بلدنا وثورتنا وفيها استُشهد أعزّ إخواننا من كل الفصائل. نعم أنا كنت سلفياً جهادياً وحُبست على هذه التهمة في سجون النظام، واليوم أستغفرُ الله وأتوب إليه وأعتذر لشعبنا أننا أدخلناكم في معارك دونكشوتية كنتم في غنى عنها. أعتذر أننا تمايزنا عنكم يوماً، لأني عندما خرجت من السجن الفكري الذي كنت فيه واختلطت

بكم وبقلوبكم قلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق ـ عندما قال: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم". أعتذرُ منكم، أعتذر، وإن شاء الله قابل الأيام خيرٌ من ماضيها لثورتنا ولإسلامنا".

لم يكن هذا هو موقف أبي يزن وحده، بل كان هو الرأي الجامع الذي اتفق عليه قادة الحركة الكبار، الذين قرروا قراراً لا رجعة فيه: "أن تلتحم الحركة بالشعب السوري، وأن يكون جهادُها جهادَ أمة لا جهاد نخبة". بعد أربعة أيام من نشر تلك الكلمة التاريخية استُشهد أبو يزن واستُشهد القادة جميعاً، رحمهم الله. مَضَوا إلى رحمة الله، ولكن الفكرة بقيت، لأن الأفكار لا تموت، وما لبث القادة الجدد ـ وفقهم وحماهم الله ـ أن استلموا الراية وأكملوا الطريق.

* * *

لم يبدل الإخوة ولم يغيروا. كانت حركة أحرار الشام ملكاً للسوريين جميعاً وبقيت كذلك. كان عامةُ الناس هم همَّها ورفعُ المعاناة وكشف المحنة عنهم هو هدفَ الحركة، وما يزال.

ما هو التنازل الخطير الذي قدمته حركة أحرار الشام كما يزعم المرجفون؟ لقد أكدت الحركة ـ في هذه المقالة الأخيرة ـ جديتها في قتال النظام وفي قتال داعش، فمَن يجادل في وجوب قتال الاثنين؟ لا يجادل في قتال داعش وقتال النظام إلا أحمق بلا عقل أو خائن بلا دين. أمّا أمريكا فقد علمنا ما انطوت عليه من كذب وغدر ومكر بسوريا وأهلها وثورتها، فنحن نَحْذر منها حَذَرَ العاقل من عدوه (هم العدو فاحذرهم) ولكنّا لم تبلغ بنا الحماقة أن نستعدَيها على الشعب السوري لتأتيه بالجحافل والأساطيل، فإنّ ما اجتمع على سوريا من الأعداء يكفي قارة بأكملها ويزيد، فلا حاجةَ بنا إلى استعداء المزيد.

فهل ينقم الناقمون على حركة أحرار الشام أنها تسعى بكل سبيل لتخفيف المحنة على أهل سوريا وتقصير طريق الآلام؟

* * *

كُفّوا عن أحرار الشام. ما يسوؤكم في قوم اختاروا أن يكونوا في خندق واحد هم وعامة الناس؛ قوم حملوا هَمّ الناس وشعروا بمعاناة الناس وأبَوا أن يكونوا وَقوداً لمشروعات الغرباء؟ لئن سخط على الحركة بعضُ الساخطين فيكفيها أن تنافح عنها مئات الأقلام وأن ترتفع ملايين الأكفّ لها بالدعاء.

في يوم من الأيام قدّم رجل من المسلمين اسمُه عبد الله بن حذافة تنازلاً هائلاً بميزان الناقدين الناقمين على الحركة اليوم: قبّلَ رأس كبير الروم! لو أدركوه لقالوا: انظروا كيف فرّط هذا المسلم وتنازل وهانت عليه نفسُه بعدما رفعه الإسلام، حتى رضي أن يقبّل رأس علج من العلوج؟!

لحسن حظه أنه عاش في زمان العمالقة لا في زمان الأقزام، الذين فهموا الدين على حقيقته لا الذين فهموه بالمقلوب، الذين يعلمون أن دم امرئ مسلم أغلى من الدنيا وما فيها، فقال حكيم الإسلام وأعظم فقهاء الأمة وخليفةُ خليفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: حقٌ على كل مسلمٍ أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أول من يصنع ذلك"... هذا وهو قد استنقذَ من الأسر بضعة أنفس، عشراتٍ فحسب، فكيف بمن يسعى لاستنقاذ ملايين؟ لو كان الأمر إليّ لقلت: حق على كل سوري أن يقبل رأس لبيب، وأنا أول الفاعلين.

الزلزال السوري

المصادر: